

## دور السيد علي السيستاني (دام ظله) في تحقيق الاستقرار السياسي

### والامني في العراق

أ.م.د منى حسين عبيد

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد

#### ملخص

يعد السيد علي السيستاني دام ظله من المراجع العظماء الذين برز دورهم وبشكل واضح بعد عام ٢٠٠٣ فقد راعى السيد السيستاني الحكومات المتعاقبة على السلطة من يوم سقوط النظام البائد في العراق ولحد وقتنا الحاضر بالتوجيه والنصيحة والإرشاد، والملاحظات القيمة التي تصب في مصلحة الأمة والوطن، وبما ينفع المسار السياسي في هذه اللحظات السياسية الحاسمة التي تمر على البلاد، بما فيها من مأس وأحزان، ولاسيما فيما يخص تردي الوضع الأمني، فقد كان وما زال بحق صمام الأمان في عدم انجرار البلاد إلى حرب طائفية مؤلمة، رغم الاعتداءات الصارخة التي تعرض لها العراقيين من قبل التكفيريين والارهابيين، وترويع الأهالي على اختلاف الصعد، من قتل وذبح وسلب ونهب، وتهجير، وتدمير للمساجد، ولراقدة الأئمة والعلماء والصالحين والأولياء، بما يندى له الجبين، وكان من الممكن أن يتم الرد على هذه الأفعال الظالمة، لولا إصرار مراجعنا العظام ولاسيما سماحة السيد علي السيستاني لاتفاقت الأوضاع في البلاد.

#### مقدمة

تعد المرجعية الدينية الامتداد الحقيقي للامامة، التي تشكل بدورها الامتداد الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة، ولاسيما في بعديها العقائدي والسياسي، وقد

رسم هذا الامتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها للتعامل مع جميع الظروف والأوضاع، بما فيها الأوضاع والظروف السياسية، وحسب الشروط والخطوط التي وضعها أهل بيت عليهم السلام، فقد مر أهل البيت عليهم السلام بمراحل وأدوار ذات ظروف وعوامل مختلفة، جعلتهم يتصرفون مع تلك الظروف بما يتلاءم مع شروط كل مرحلة ودور.

وبما أن المرجعية الدينية هي الامتداد الطبيعي للإمامة؛ فإن عملها يجب أن يكون في ظل ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من أدوار ومواقف مختلفة. لقد تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تحمل أمانة الرسالة المحمدية، ومارست الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما مارسها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ان المرجعية الدينية التي تحددت كل الوان التصفية والملاحقة اثر تصديها لقيادة الامة استطاعت منذ عصر الغيبة ولحد الان ان تحفظ هيبة الاسلام الحقيقي من خلال حكمتها وادارتها السياسية والاجتماعية والدينية.

ولعل من الاسباب التي دفعت المرجعية الدينية للتدخل في الأمور السياسية والعامّة للبلاد، الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية الرشيدة تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهدئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية.

ويعد السيد علي السيستاني دام ظلّه من المراجع العظماء الذين برز دورهم وبشكل واضح بعد عام ٢٠٠٣

ولاهمية الدور الذي قام به المرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني دام ظلّه، سنركز في دراستنا على السيرة الذاتية لهذا المرجع الكبير ودوره في تحقيق الاستقرار السياسي والامني في البلاد.

اولا: سيرته الذاتيه

### ١- ولادته ونشأته

ولد آية الله العظمى السيد علي بن محمد باقر بن علي الحسيني السيستاني في ٩ ربيع الثاني ١٣٤٩ هـ (١٤ ايلول ١٩٣٠) في مدينة مشهد عندما هاجر والده السيد محمد باقر الى هناك لاكمال دراساته في مدرسة الملا محمد باقر السبزواري . ويعد والده احد اعلام الفقه والاصول في النجف الاشرف<sup>(١)</sup>. وأما جده فهو العلم الجليل (السيد علي) الذي ترجم له العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في طبقات اعلام الشيعة (القسم الرابع ص ١٤٣٢) وذكر انه كان في النجف الاشرف من تلامذة الحجة المؤسس المولى علي النهاوندي وفي سامراء من تلامذة المجدد الشيرازي، ثم اختص بالحجة السيد اسماعيل الصدر، وفي حدود سنة (١٣٠٨ هـ) عاد الى مشهد الرضا (عليه السلام) واستقر فيه وقد حاز مكانة سامية مع ما كان له من حظ وافر في العلم مع تقي وصلاح، ومن تلامذته المعروفين الفقيه الكبير الشيخ محمد رضا آل ياسين (قدس سره)<sup>(٢)</sup>.

ثم انتقل إلى الحوزة العلمية الدينية في قم المقدسة على عهد المرجع الكبير السيد حسين البروجردي (قدس سره) في عام (١٣٦٨ هـ)، وحضر بحوث علماء وفضلاء الحوزة آنذاك، منهم السيد البروجردي (قدس سره) في الفقه والأصول، وقد أخذ

الكثير من خبرته الفقهية ونظرياته في علم الرجال والحديث، كما حضر درس الفقيه العالم الفاضل السيد الحجة الكوهكمري (قدس سره) وبقيّة الأفاضل في حينه .

كانت أسرته (وهي من الاسر العلوية الحسينية) تسكن في اصفهان على عهد السلاطين الصفويين وقد عين جده الاعلى (السيد محمد) في منصب شيخ الاسلام في سيستان في زمن السلطان حسين الصفوي فانتقل اليها وسكنها هو وذريته من بعده (٢) .

نشأ سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه) في أسرة علمية دينية ملتزمة، وقد درس العلوم الابتدائية والمقدمات والسطوح، وأعقبها بدراسة العلوم العقلية والمعارف الإلهية لدى جملة من أعلامها ومدرسيها حتى أتقنها .

## ٢.تحصيله العلمي

بدأ حياته العلمية وهو في الخامسة من العمر في مدرسة دار التعليم الديني لتعلم القراءة والكتابة ونحوها، وفي عام ١٩٤١ بدأ بتوجيه من والده بقراءة مقدمات العلوم الحوزوية، فأتتم قراءة جملة من الكتب الأدبية، وحضر في المعارف الإلهية دروس الميرزا مهدي الاصفهاني المتوفي سنة ١٩٤٦، كما حضر بحوث الخارج للميرزا مهدي الأشتياني والميرزا هاشم القزويني وفي عام ١٩٤٩ هاجر الى مدينة قم لإكمال دراسته، فدرس الفقه والأصول على يد السيد حسين الطباطبائي البروجردي، ثم أكمل دراسة الفقه على يد السيد محمد الحجة الكوهكمري (٤) .

وفي عام ١٩٥١ هاجر من مدينة قم الى النجف، فسكن مدرسة البخارائي العلمية وحضر بحوث أبو القاسم الخوئي وحسين الحلي في الفقه والأصول ولازمهما مدة طويلة، وحضر خلال ذلك أيضا بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم السيد محسن

الحكيم والسيد الشاهرودي. في عام ١٩٦١ عزم على السفر الى مسقط رأسه مشهد، وكان يحتمل استقراره فيها فكتب له استاذة الخوئي واستاذة الشيخ الحلي شهادتين ببلوغه درجة الاجتهاد، كما كتب الشيخ آغا بزرك الطهراني شهادة اخرى يطري فيها على مهارته في علمي الحديث والرجال(٦).

وعندما رجع الى النجف الاشرف في أوائل عام (١٩٦١) ابتدأ بالقاء محاضراته (الدرس الخارج) في الفقه في ضوء مكاسب الشيخ الانصاري واعقبه بشرح العروة الوثقى فتم له منه شرح كتاب الطهارة وأكثر كتاب الصلاة وبعض كتاب الخمس وفي عام (١٩٩٧) بدأ بشرح كتاب الاعتكاف بعد ان انتهى من شرح كتاب الصوم . وقد كانت له محاضرات فقهية أخرى خلال هذه السنوات تناولت كتاب القضاء وأبحاث الربا وقاعدة الالزام وقاعدة التقية وغيرها من القواعد الفقهية . كما كانت له محاضرات رجالية شملت حجية مراسيل ابن ابي عمير وشرح مشيخة التهذيبين وغيرها .

وابتداً (دام ظله) بالقاء محاضراته في علم الاصول في شعبان عام (١٩٦٤) وقد أكمل دورته الثالثة في شعبان عام (١٩٩٠) ويوجد تسجيل صوتي لجميع محاضراته الفقهية والاصولية(٦).

### ٣- صفاته وأخلاقه :

من يعاشر سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ويتصل به يرى فيه شخصية فذة تتمتع بالخصائص الروحية والمثالية التي حث عليها أهل البيت (عليهم السلام) ، والتي تجعل منه ومن أمثاله من العلماء المخلصين مظهراً جلياً لكلمة عالم رباني ، ومن أجل وضع النقاط على الحروف ، نطرح بعض المعالم الفاضلة التي رأها أحد تلامذته عند اتصاله به درساً ومعاشرة(٧):

١- الإنصاف واحترام الرأي : إن سماحة السيد ( دام ظلّه ) انطلقا من عشقه العلم والمعرفة ، ورغبة في الوصول للحقيقة ، وتقديسا لحزبية الرأي والكلمة البتاءة ، تجده كثير القراءة والتتبع للكتب والبحوث ، ومعرفة الآراء حتى آراء زملائه وأقرانه ، أو آراء بعض المغمورين في خضمّ الحوزة العلمية

٢- الأدب في الحوار : يستخدم سماحته في نقاشه آراء الآخرين أو مع أساتذته الكلمات المؤدبة التي تحفظ مقام العلماء وعظمتهم ، حتى ولو كان الرأي المطروح واضح الضعف والاندفاع ، وفي إجابته لاستفسارات الطالب يتحدث بانفتاح وبروح الإرشاد والتوجيه

٣- خلق التربية : وقد كان الإمام الحكيم ( قدس سره ) مضرب المثل في خلقه التربوي لتلامذته وطلابه ، وكذلك كانت علاقة الإمام الخوئي ( قدس سره ) بتلامذته ، وهذا الخلق تجسّد في شخصية سماحة السيد السيستاني ( دام ظلّه ) ، فهو يبحث دائما بعد الدرس على سؤاله ونقاشه ، فيقول : ( أسألوا ولو على رقم الصفحة لبحث معين ، أو اسم كتاب معين ، حتى تعتادوا على حوار الأستاذ والصلة العلمية به ) .

وكان يدفع الطلاب لمقارنة بحثه مع البحوث المطبوعة ، والوقوف عند نقاط الضعف والقوة ، وكان يؤكّد دائما على احترام العلماء والالتزام بالأدب في نقاش أقوالهم .

٤- الورع : كان سماحة السيد ( دام ظلّه ) يلتزم دوما الصمت والوقار ، والبعد عن الضوضاء الصاخبة ، مضافا لزهده المتمثل في لباسه المتواضع ، ومسكنه الصغير الذي لا يملكه ، وأثاثه البسيط

٥- الإنتاج الفكري : إن سماحة السيد السيستاني ( دام ظلّه ) ليس فقيها فقط ، بل هو رجل مثقف مطلع على الثقافات المعاصرة ، ومتفتح على الأفكار الحضارية

المختلفة ، ويمتلك الرؤية الثاقبة في المسيرة العالمية في المجال الاقتصادي والسياسي ،  
وعنده نظرات إدارية جيدة ، وأفكار اجتماعية مواكبة للتطور الملحوظ ،  
واستيعاب للأوضاع المعاصرة ، بحيث تكون الفتوى في نظره طريقا صالحا للخير  
في المجتمع المسلم<sup>(٤)</sup>.

#### ٤-نبوغه العلمي

لقد برز سماحة آية الله العظمي السيد السيستاني (دام ظله) في بحوث أساتذته  
بتفوق بالغ على أقرانه وذلك في قوة الإشكال، وسرعة البديهة، وكثرة التحقيق  
والتتبع في الفقه والرجال، ومواصلة النشاط العلمي، والمماه بكثير من النظريات في  
مختلف الحقول العلمية الحوزوية. ومما يشهد على ذلك شهادة خطية من الإمام  
الخوئي (رضوان الله تعالى عليه) وشهادة أخرى من العلامة الشيخ حسين الحلي  
(قدس سره)، وقد شهدا ببلوغه درجة الاجتهاد في شهادتين مؤرختين في العام (١٩٦٠)  
مغمورتين بالثناء الكبير على فضله وعلمه، على أن المعروف عن الإمام الخوئي  
(قدس سره) أنه لا يشهد لأحد من تلامذته بالاجتهاد شهادة خطية، إلا لسيدنا الأستاذ  
وآية الله الشيخ علي الفلسفي من مشاهير علماء مشهد المقدسة .

كما كتب له شيخ محدثي عصره العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني (قدس سره)  
شهادة مؤرخة في العام (١٩٦٠) أيضا يطري فيها على مهارته في علمي الرجال  
والحديث. أي أن سيدنا الاستاذ قد حاز على هذه المرتبة العظيمة بشهادة العظماء من  
العلماء وهو في الحادية والثلاثين من عمره<sup>(٥)</sup>.

#### ٥-مرجعياته

نقل بعض أساتذة النجف الأشرف أنه بعد وفاة آية الله السيد نصر الله المستنبط  
(قدس سره) اقترح مجموعة من الفضلاء علي الإمام الخوئي (قدس سره) إعداد

الأرضية لشخص يشار إليه بالبنان، مؤهل للمحافظة على المرجعية والحوزة العلمية في النجف الأشرف، فكان اختيار سماحة آية الله العظمي السيد السيستاني (دام ظلّه) لفضله العلمي، وصفاء سلوكه وخطه .

كما اختاره السيد الخوئي (قدس سره) للصلاة في محرابه في جامع الخضراء فبدأ ينتشر صيته في أوساط العامة بعد أن كان محصوراً في الأوساط العلمية والحوزوية التي عرفته أستاذاً قديراً في البحث الخارج طوال ربع قرن من الزمن<sup>(١)</sup>. وبعد وفاة الإمام الخوئي (قدس سره) كان من الستة المشيعين لجنازته ليلاً، وهو الذي صلى على جثمانه الطاهر، وقد تصدى بعدها للتقليد وشؤون المرجعية وزعامة الحوزة العلمية، بإرسال الإجازات، وتوزيع الحقوق، والتدريس على منبر الإمام الخوئي (قدس سره) في مسجد الخضراء . وبدأ ينتشر تقليده وبشكل سريع في العراق والخليج ومناطق أخرى، كالهند وأفريقيا وغيرها، وخصوصاً بين الأفاضل في الحوزات العلمية، وبين الطبقات المثقفة والشابة، لما يعرف عنه من أفكار حضارية متطورة، وهو (دام ظلّه) من القلة المعدودين من أعظم الفقهاء الذين تدور حولهم الأعلمية بشهادة غير واحد من أهل الخبرة وأساتيد الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة. وكما يذكر أنه تشرف بزيارة بيت الله الحرام لأداء الحج مرة في العام (١٩٦٦) ومرتين متتاليتين في عامي (١٩٨٤) و(١٩٨٥)<sup>(١)</sup>.

#### - مؤلفاته

مؤلفاته: نذكر منها ما يلي: مناسك الحج . - كتاب القضاء . - الفتاوى الميسرة للفقهاء للمغتربين .. المسائل المنتخبة .. رسالة في الربا . - رسالة في القبلة - منهاج الصالحين - البحوث الأصولية . - رسالة في التقية . - شرح العروة الوثقى . - رسالة في قاعدة اليد . - كتاب البيع والخيارات . - الرافد في علم الأصول . - رسالة في

قاعدة الإلزام . - رسالة في صلاة المسافر . - قاعدة لا ضرر ولا ضرار . - رسالة في الاجتهاد والتقليد . - رسالة في اللباس المشكوك فيه . - رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ<sup>(١٢)</sup>.

- مشاريعه الإسلامية وخدماته العامة للمؤمنين

للسيد السيستاني مشاريع عدة في مناطق وأماكن مختلفة من العالم أمثال المجمعات السكنية لطلاب الحوزات العلمية ومراكز إغاثة ومستشفى ومستوصفات طبية ومراكز علمية ومؤسسات للنشر والطباعة والترجمة والتبليغ ومواقع على الأنترنت لتقديم الخدمات الإسلامية للمؤمنين ودفع الشبهات عنهم. كما ويهتم بشكل خاص بقضاء حوائج المؤمنين ومساعدتهم. وله وكلاء ينتشرون في بلدان العالم في شرق الأرض وغربها لإيصال صوت المرجعية وخدماتها للمؤمنين<sup>(١٣)</sup>.

٦- مسيرته الجهادية

كان النظام البعثي يسعى بكل وسيلة للقضاء على الحوزة العلمية في النجف الأشرف منذ السنين الأولى من تسلمه للسلطة في العراق ، وقد قام بعمليات تدمير واسعة للعلماء والفضلاء وسائر الطلاب الاجانب ، ولاقى سيدنا السيد (دام ظله) عناءا بالغا من جراء ذلك وكاد ان يسفر عدة مرات وتم تدمير مجاميع من تلامذته وطلاب مجلس درسه في فترات متقاربة ، ثم كانت الظروف القاسية جدا ايام الحرب العراقية الايرانية ، ومع ذلك فقد اصردام ظله على البقاء في النجف الأشرف وواصل التدريس في حوزته العلمية المقدسة ايمانا منه بلزوم استمرار المسار الحوزوي المستقل عن الحكومات تفاديا للسلبات التي تنجم عن تغيير هذا المسار .

وفي العام 1990 عندما قضي النظام على الانتفاضة الشعبانية اعتقل سيدنا السيد (دام ظله) ومعه مجموعة من العلماء كالشهيد الشيخ مرتضي البروجردى والشهيد الميرزا علي الغروي وقد تعرضوا للضرب والاستجواب القاسي في فندق السلام وفي معسكر الرزازة وفي معتقل الرضوانية إلى ان فرج الله عنهم ببركة اهل البيت (ع) (١٤).

وفي عام 1992 عندما توفي الامام السيد الخوئي رضوان الله عليه وتصدي سيدنا (دام ظله) للمرجعية حاولت سلطات النظام السابق تغيير مسار المرجعية الدينية في النجف الأشرف وبذلت ما في وسعها في الحط من موقع السيد (دام ظله) ومكانته المتميزة بين المراجع وسعت إلى تفرق المؤمنين عنه بأساليب متعددة منها اغلاق جامع الخضراء في أواخر ذي الحجة عام ١٩٩٣.

وعندما وجد النظام ان محاولاته قد باءت جميعا بالفشل خطط لاغتيال سيدنا وتصفيته "فقد تعرض السيد علي السيستاني كغيره من المراجع لمضايقة نظام صدام حسين ولم يكن بعيدا عن هذه المضايقات رغم سياسة القطيعة التي كان ينتهجها في علاقته بالنظام السابق" (١٥).

"فقد تعرض لمحاولات عديدة لاغتياله منها المحاولة التي جرت في ١١/٢٢/١٩٩٦، كناقذ وضع السيد علي السيستاني تحت الإقامة الجبرية الفعلية عام ١٩٩٤، لوضع حد لعلاقته مع الطائفة حيث كان النظام بهذه الطريقة يأمل بتخويف وتدمير إي شكل من أشكال القيادة المستقلة بين الشيعة" (١٦).

وقد كشفت وثائق جهاز المخابرات عن عدد من هذه المخططات ولكن مكروا ومكر الله والله خير الماكرين . وهكذا بقي سيدنا (دام ظله) رهين داره منذ أواخر عام ١٩٩٧ - حتى انه لم يتشرف بزيارة جده الامام أمير المؤمنين (ع) طوال تلك المدة (١٧).

ثانيا: دوره السياسي والوطني بعد عام ٢٠٠٣

١- موقفه من الاوضاع السياسية بعد عام ٢٠٠٣

تعاظمت مرجعية السيد علي السيستاني بعد سقوط النظام السابق في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣، واصبح الرقم الاول بين المرجعيات الكبيرة، للمواقف التي تميز بها وطروحاته في شأن صياغة المنظومة السياسية للبلاد<sup>(١٨)</sup>.

بعد سقوط نظام صدام برز دور المرجعية الدينية الشيعية واضحا في المشهد السياسي العراقي، اذ كان صوتها متميزا وموقفها قويا تجاه الاحتلال الاجنبي. فبعد اسبوع على احتلال بغداد في ١٨ نيسان ٢٠٠٣، اعلن السيد السيستاني عن رفضه اي سلطة اجنبية بعد الحرب التي تعرضت لها البلاد، وتمسكه بوحدة المقيمين في العراق ووحدة الاراضي العراقية. كما اكد رفضه اي نوع من انواع الحكم الذي كان مفروضا من اي قوة اجنبية.. وان العراقيين هم الذين يديرون العراق وليس لهم ان يفعلوا ذلك تحت اي سلطة اجنبية<sup>(١٩)</sup>.

كما وجه رسالة إلى الشعب العراقي كتبها بشكل شخصي ووقعها بختمه ابتداها بالآية القرآنية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمته الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾  أكد فيها على أنه حريص على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصبية من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية. ودعا الحكومة العراقية إلى تجاوز خلافاتها وعدم التحكم على أساس طائفي أو عرقي حتى يستعيد العراقيون السيادة الكاملة على بلدهم<sup>(٢٠)</sup>.

كما أصدر السيستاني مجموعة من البيانات التي تحث المجتمع العراقي على التلاحم والوحدة، وأكد على نبذ العنف والكرهية بين أبناء العراق، وكذب ما تنسبه إليه بعض وسائل الإعلام من فتاوى، وشدد على أن فتاواه كلها ليس فيها ما يسئ إلى المسلمين من سائر الفرق والمذاهب أبداً.<sup>(٢١)</sup>

وهذا التأكيد يعبر عن نظرة ثابتة وحكمة سياسية في تقييم الاوضاع في ذلك الوقت المبكر، حيث كانت الفوضى تعم المدن والشوارع والمؤسسات، وكانت القوات الامريكية تهيمن على المشهد العراقي كله، سياسياً وعسكرياً واعلامياً وادارياً.

والتي على اثرها اصدر السيد السيستاني فتوى تحرم نهب ممتلكات الدولة والوزارات والدوائر الحكومية، ودعا الى المحافظة عليها بهدف اعادتها في الوقت المناسب<sup>(٢٢)</sup>.

كما اكد السيد السيستاني بأنه يفضل المقاومة السلمية لإخراج الأمريكان من العراق وأن المقاومة المسلحة في الوقت الحالي تلحق الضرر بمصالح الشعب، وذكر ان السيد السيستاني يرى أن تكون المقاومة سلمية، لأن المقاومة المسلحة تؤدي إلى إزهاق المزيد من أرواح المسلمين مقابل القوة الأمريكية المسلحة بأحدث وأقوى الاسلحة<sup>(٢٣)</sup>

وكذلك ساهم السيد السيستاني في نزع فتيل اول صراع مسلح داخل الصف الشيعي عندما حدث في تشرين الاول ٢٠٠٣ للسيطرة على المراقد المقدسة في مدينة كربلاء، واكد ان المحاكم العراقية هي وحدها التي يحق لها محاسبة المقصرين أياً كانوا.

كما قام السيد السيستاني بعمل يعد واحداً من انجازاته العظيمة هو اطفاء الفتنة التي كادت تعصف بالعراق في اب ٢٠٠٤ عندما دخلت عناصر من جيش المهدي الحرم

العلوي في النجف الاشرف، ومحاولة الحكومة العراقية برئاسة اياد علاوي اقتحام المرقد تساندها قوات امريكية وعراقية، مما قد يؤدي الى حدوث مذبحة كبيرة مما دفع بالسيد علي السيستاني للتدخل، حيث تمكن بحكمته وسعة صدره من نزع فتيل الحرب واقتناع الطرفين من الانسحاب من المدينة ومن الحرم العلوي المطهر وتكملت المحادثات بينه وبين السيد مقتدى الصدر باعلان مدينتي النجف الاشرف والكوفة خاليتين من السلاح، فضلا عن خروج جميع العناصر المسلحة وعدم عودتهم اليها<sup>(٢٤)</sup>.

## ٢- مواقف من الانتخابات التشريعية

لعل من ابرز الفقهاء الذين أفتوا بوجوب المشاركة في الانتخابات في العراق ما بعد ٢٠٠٣ كان السيد علي السيستاني فقد كان له موقف واضح من الانتخابات في العراق فقد أكد ذلك في خطب الجمعة التي يلقيها وكلائه في كربلاء فقد أكد وكيله عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة عام ٢٠٠٤ قبيل الانتخابات أن السيستاني لا يؤيد اي جهة كانت في الانتخابات وان الأنباء عن تاييده لقائمه معينه دون أخرى عارية عن الصحة واتت هذه الخطبة بعد أن تداولت بعض القوائم الشيعية انه تلقت الدعم من المرجعية العليا المتمثلة بالسيستاني اما في انتخابات ٢٠١٠ و ٢٠١٤ فقد جدد المواقف بعدم دعم اي قائمه أو شخصية مرشحة ودعا إلى انتخاب الأصلاح والانزله وكذلك ولأول مرة في تاريخ المرجعية دعا السيستاني إلى قيام دولة مدنية ويعتبر أول مرجع شيعي في القرن ٢٠ و ٢١ يدعوا إلى الدولة المدنية<sup>(٢٥)</sup>.

ومع اقتراب موعد الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٨ تجلى موقف سماحته من هذا الحدث

السياسي المهم في الاتي<sup>(٢٦)</sup>:-

١- من المؤكد ان الاخفاقات التي رافقت التجارب الانتخابية الماضية- من سوء استغلال السلطة من قبل كثير ممن انتخبوا او تسموا المناصب العليا في الحكومة، ومساهماتهم في نشر الفساد وتضييع المال العام بصورة غير مسبوقة، وتمييز أنفسهم برواتب ومخصصات كبيرة، وفشلهم في اداء واجباتهم في خدمة الشعب وتوفير الحياة الكريمة لأبنائه - لم تكن الا نتيجة طبيعية لعدم تطبيق العديد من الشروط اللازمة- ولو بدرجات متفاوتة- عند اجراء تلك الانتخابات، وهو ما يلاحظ- بصورة او بأخرى- في الانتخابات الحالية أيضا، ولكن يبقى الامل قائما بإمكانية تصحيح مسار الحكم وإصلاح مؤسسات الدولة من خلال تضافر جهود الغياري من ابناء هذا البلد واستخدام سائر الاساليب القانونية المتاحة لذلك .

٢- ان المشاركة في هذه الانتخابات حق لكل مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية، وليس هناك ما يلزمه بممارسة هذا الحق الا ما يقتنع هو به من مقتضيات المصلحة العليا لشعبه وبلده، نعم ينبغي ان يلتفت الى ان تخليه عن ممارسة حقه الانتخابي يمنح فرصة اضافية للآخرين في فوز منتخبهم بالمقاعد البرلمانية وقد يكونون بعيدين جدا عن تطلعاته لأهله ووطنه، ولكن في النهاية يبقى قرار المشاركة او عدمها متروكا له وحده وهو مسؤول عنه على كل تقدير، فينبغي أن يتخذ عن وعي تام وحرص بالغ على مصالح البلد ومستقبل ابنائه .

٣- ويؤكد سماحته وقوفه على مسافة واحدة من جميع المرشحين ومن كافة القوائم الانتخابية، بمعنى أنه لا يساند أي شخص أو جهة أو قائمة على الاطلاق، فالأمر كله متروك لقناعة الناخبين وما تستقر عليه آراؤهم بعد الفحص والتمحيص، ويرى من الضروري عدم السماح لأي شخص او جهة باستغلال عنوان المرجعية الدينية أو أي عنوان آخر يحظى بمكانة خاصة في نفوس العراقيين

للحصول على مكاسب انتخابية، فالعبرة كل العبرة بالكفاءة والنزاهة، والالتزام بالقيم والمبادئ، والابتعاد عن الاجندات الاجنبية، واحترام سلطة القانون، والاستعداد للتضحية في سبيل انقاذ الوطن وخدمة المواطنين، والقدرة على تنفيذ برنامج واقعي لحل الأزمات والمشاكل المتفاقمة منذ سنوات طوال.<sup>(٢٧)</sup>

### ٣ دور في تحقيق الاستقرار الأمني

قدم المرجع السيد السيستاني الدعم الكبير للقوات الامنية العراقية في الكثير من الاحداث والمواقف التي مر بها العراق وكانت جميع طروحاته تؤيد بناء قوات امنية عراقية على اسس وطنية سليمة وان تكون تلك القوات من العناصر الصالحة والكفوءة ، وتقديم الدعم اللوجستي والفني لها مع وضع خطط متطورة تعالج الاخطاء والاحطار ، ويعتقد المرجع السيستاني ان تمكين القوات العراقية وجعلها هي من تحقق الامن والاستقرار سيفسح المجال للتصدي لكل من يحاول زعزعة الامن في البلاد.<sup>(٢٨)</sup>

وجاء هذا الدعم من خلال القراءة الواعية لطروحات المرجع السيد السيستاني ، وتؤشر لنا بشكل علمي واضح ان تلك الطروحات تؤسس لخارطة طرق سلمية وتشخص الاحداث والمواقف وتعطي ارشادات وتحذيرات مباشرة لا تقبل التحريف ، ولعل اهتمام المرجعية الواضح باصلاح الملف الامني لم يكن الادراكا منها لحجم الخطورة المجتمعية التي يشكلها هذا الملف ، وان المرجع السيد السيستاني يرى ان احد اسباب سقوط المدن والخلل الامني هو بسبب عامل الفساد الذي استشرى في المؤسسة الامنية وعدم المهنية في ادارة تلك المؤسسة وكذلك عدم تمكين المؤسسة الامنية في مواكبة التطور التقني والتكنولوجي ، وفي قبال ذلك التشخيص يحمل المرجع السيستاني الحكومة العراقية ويدعوها ان تتبع سياسة الحزم والمحاسبة الشديدة

للعناصر التي يثبت تورطها في الاعمال الارهابية او تماهلت في اداء واجباتها ، وبطالب الحكومة ان توفر الاجهزة والمعدات الكافية ذات التقنية العالية التي تكشف السيارات المفخخة ، واعتماد التدريب والتعليم الامني والعسكري والاهتمام بالجانب الاستخباراتي وملاحقة الخلايا الارهابية النائمة.(٢٩)

وفي الحقيقة ، ان احد اهم المشاكل التي عاشها ويعيشها العراق هو انه ضحية لصراعات اقليمية ودولية وتقاطع مصالح لدول كبرى ، حيث اصبحت الارض العراقية ساحة تصفية للحسابات وبسط النفوذ ، ولعل اختلال الملف الامني في ٢٠٠٣ ولغاية اليوم يأتي بشكل اساسي بسبب العامل الخارجي لذلك لم تنفع الاجراءات العسكرية مهما كانت قوتها لان الملف فيه بعد امني وعسكري وقومي واستخباراتي ... الخ ، وان اللوم الاكبر يقع في ذلك على الولايات المتحدة الامريكية كونها هي الراعية للتغيير الديمقراطي في العراق وهي المسؤول بشكل مباشر على الملف الامني والعسكري لاكثر من ثمان سنوات ، وان زيادة التطرف والارهاب قد بدأ في سجونها ومعتقلاتها ، حيث انها ترى داعش يتمدد امام عينها ولم تعمل على معالجته بشكل حقيقي وهي تنفذ ضربات حسب حاجته ووفق المصلحة(٣٠).

لذلك نجد من ان المرجعية تحذر من عالمية الارهاب ما نجده في الوقت الحاضر والذي يجري في كثير من مناطقنا لاسيما دول الشرق الأوسط من انتشار ظاهرة الإرهاب والفكر المتطرف المبني على استخدام العنف وعدم القبول بالتعايش مع الآخر تعايشا سلميا، وهذه التصرفات قد شوّهت سمعة الإسلام وسببت إراقة الكثير من الدماء للمسلمين وعدم الاستقرار في عدد من دول المنطقة. وتعتقد اتساع هذه الظاهرة وامتدادها الى دول متعددة حيث بات من الممكن أن تتسع هذه الظاهرة أكثر في

المستقبل لتشمل دولاً وشعوباً أخرى، لذا لا بد أن يكون هناك تكاتف بين الجميع في سبيل مكافحة هذه الأفكار، واعتماد الفكر الوسطي المعتدل الذي بنى عليه الإسلام والديانات السماوية كأساس في التعايش السلمي بين مكونات أي مجتمع، ومن دون ذلك فإن هذه الظاهرة لا يمكن الحد من تأثيراتها السيئة على الإسلام ودول المنطقة، بل ستتسع لتشمل المزيد من الدول الإسلامية وغيرها.“<sup>(٣١)</sup>

فلاحظ ان مرجعية السيد السيستاني شخصت بأن مشكلة الإرهاب أصبحت مشكلة عالمية، وبدأ المجتمع الدولي يعاني من خطورتها ولاسيما إن مصطلح الإرهاب أخذ يتصدر أغلب الأخبار المرئية والمسموعة.“

وأن حقيقة الإرهاب مبنية على من يعتقد أنه هو الأصح دون الآخر، فلا بد أن يستعمل معه طريقة العنف لإثبات فكرته، والمجتمع الدولي يعاني من هذه المشكلة، والعراق عانى من هذه المشكلة، ولا زالت هناك عمليات لا تصنف إلا في خانة الإرهاب، منها تفجيرات واستهداف الأبرياء وتفجير مجالس العزاء بلا وازع، لأن هؤلاء يعتقدون أن جزء من يختلف مع أفكارهم ومعتقداتهم هو العنف وقتل الآخرين.“تعتقد المرجعية ان العراق دفع الكثير من الدماء جزاء هذه الأفكار.“وتطالب المجتمع الدولي بوضع حلول جذرية لهذه الظاهرة الخطيرة؛ لأنها لا تقف عند دولة والجميع سيعاني منها إن لم تحل المشكلة<sup>(٣٢)</sup>.

ولا تؤمن مرجعية السيد السيستاني بعسكرة المجتمع واللجوء الى القوة ، ونلاحظ في مجمل طروحات ومتبنيات السيد السيستاني انها تدعو للحوار والحكمة والسلم ، لذلك يمكن تصنيف فتوى الجهاد على انها (فتوى من اجل السلم) ومن اجل تحرير الانسان والارض من بطش وقتل اعلى ارهاب في العالم ، وممكن ان نقول ان من اهم

نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت جميع العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم

لقد كان للجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية السيد السيستاني ضد داعش له الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، وان تلك المهمة هي أشرف وأقدس المهمات حيث الحفاظ على وحدة العراق، فأستطاع المرجع السيستاني ان يوظف كثير من الممكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق.

وجاء في بيان صادر عن المكتب الإعلامي للعبادي أن "المواقف التاريخية للمرجعية الدينية تتوج مواقفها المدافعة عن العراق وشعبه، وفي مقدمتها فتوى الجهاد الكفائي (يسقط عن الكل بامثال مجموعة) التي أنقذت العراق وعبدت طريق الانتصار، في إشارة إلى الدعوة التي أطلقها السيستاني لحمل السلاح ومحاربة داعش. وأعرب العبادي "عن بالغ شكره وامتنانه" للسيستاني "لدعمه الكبير والمتواصل للمقاتلين الأبطال والمضحين الغيارى في شتى صنوف وتشكيلات قواتنا المسلحة"<sup>(٣٣)</sup>.

وهنا نلاحظ ان اهم النتائج التي حققتها فتوى الجهاد الكفائي<sup>(٣٤)</sup>

- ١- وحدة العراقيين ارضا وشعبا امام العدو الداعشي
- ٢- منعت تقسيم العراق وتمدد داعش لمحافظة اخرى
- ٣- منعت ارجاع العراق تحت البند السابع والوصاية الدولية
- ٤- عززت من القانون وهيبة الدولة
- ٥- اعطت دعم كبير للمؤسسة الامنية
- ٦- اعطت زخم كبير لاصلاح المنظومة السياسية والامنية

٧- حشدت المنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين.

الخاتمة

نلخص مما تقدم ، الى ان المرجع الديني الأعلى سماحة السيد السيستاني كان له دور فاعل في تحقيق الاستقرار في البلاد عبر دعوته لكافة اطراف الشعب العراقي الى توحيد الصفوف ونبذ مظاهر الطائفية والإقصاء والتهميش بهدف تحقيق السلم والأمن الاجتماعي.فلولا توجيهات سماحته لانجرفت البلاد الى حرب اهلية لا تحمد عقباها.

فقد كانت لفتاوي السيد السيستاني الاثر البالغ في القضاء على تلك الفتن التي كادت ان تعصف بالبلاد، هذا الى جانب دوره في تقديم النصح والارشاد لكافة المواطنين ولاسيما بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة لتدهور الاوضاع السياسية في البلاد واشاعة حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني .

هذا الى جانب دوره الملموس في حث كافة المواطنين على المشاركة في العملية الانتخابية وحثهم على اختيار من يمثلهم في تلك الانتخابات.

المصادر:

١- صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥١.

٢- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٣- المصدر نفسه

٤- ويكيبيديا، نقلا عن شبكة الانترنت: <https://ar.wikipedia.org>

٥- المصدر نفسه

٦- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٧- معالم شخصية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت

<http://ijtihadnet.net>

الموقع:

٨- المصدر نفسه

٩- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

١٠- السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<http://ar.wikishia.net>

١١- المصدر نفسه

١٢- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

١٣- المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني: الربط بين الفكر الحوزوي

والثقافات المعاصرة، مجلة النور، العدد ١٤٦، تموز ٢٠٠٣.

١٤- السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.marefa.org>

١٥- باسم عبد السادة خليف، دور المرجعية الدينية في العملية السياسية في العراق

بعد العام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم

السياسية، ص ٩٣.

١٦- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١،

٢٠٠٦، ص ٣٥١

١٧-المصدر نفسه

١٨- جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية: دراسة في التطور

السياسي والعلمي، بيروت لبنان، ٢٠٠٥، ص ٣٤٩.

١٩- صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٢.

٢٠- ويكيبيديا، نقلا عن شبكة الانترنت: <https://ar.wikipedia.org>

٢١- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٢- صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢٣- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٤- صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢٥- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٦- المصدر نفسه

٢٧- مكتب المرجع الديني الاعلى الامام المفدى سماحة السيد علي السيستاني (دام

ظله) يدعو للمشاركة الواسعة في الانتخابات واختيار العناصر الكفوءة، نقلا عن

شبكة الانترنت الموقع:

<http://burathanews.com>

٢٨- البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا،

<http://www.iraqqi.com>

٢٩- المصدر نفسه

٣٠- المصدر نفسه

٣١- المصدر نفسه

٣٢- العبادي يشكر السيستاني على دوره في تحرير الموصل، نقلا عن شبكة

<https://www.alhurra.com>

الانترنت الموقع:

٣٣- البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية

العليا،

<http://www.iraaqi.com>

٣٤- المصدر نفسه.

The Role of Ali al-Sistani (long live) in Achieving Political and Security Stability in Iraq

Assi.Prof.Dr. Muna H. Obaid

Center of Strategic and International Studies

Mr. Ali al-Sistani is one of the greatest references whose role emerged clearly after 2003. Mr. al-Sistani took care of the successive governments in power from the day of the fall of the former regime in Iraq and to the present time with guidance, advice, consulting and valuable observations that benefit the nation and the homeland which were useful to the political track in these crucial political moments, including tragedies and grief especially with regard to the deterioration of the security situation. It has been and remains rightly the safety valve not to drag the country into a painful sectarian war despite the blatant attacks on

the Iraqis by the takfiris and terrorists and the terror of the people at various levels of killing, slaughter, looting, displacement and destruction of mosques and the graves of imams, scientists and righteous people. And it would have been possible to respond to these unjust acts were it not for the insistence of our great references especially his Eminence Ali al-Sistani, for the aggravation of the situation in the country.